"المرشدي" ..وهوت نجمة من سماء فن اليمن

عبدالعزيز صالح بن حبتور:

لقد سجل فنانا المرشدي الكثير من الأعمال الفنية بمدارسها التراثية اليمنية وألوانها المختلفة من كل ربوع اليمن السعيد، وفي كل مدرسة ولون كان مبدعا متميزا قدم عصارة فنه للملايين من محبي فنه الاصيل.

<،،ودعت الجماهير اليمنية في 7/2/2013م فنانها الكبير محمد مرشد ناجي.
وكان وداعه بحق خسارة كبيرة على كل الوطن من الناحيتين الإنسانية والفنية، لأنه غنى ولحن و أمتع جمهوره لأكثر من ستة عقود متواصلة قضاها في محراب الفن الاصيل، قدم فيه فناً جميلاً ورائعا وأداءً متميزا بصوت عذب أصالة لاتضاهى.
جميعنا ودعناه - نحن محبيه - بقلوب حزينة وعيون دامعة وبحسرةٍ كبيرة لفقدانً فنان بحجم "المرشدي".
وبالعودة إلى سيرته الأولى عندما ترعرع وتربى في إحدى الضواحي القديمة في مدينة الشيخ عثمان بعدن، فالمرشدي" نشأ في أسرة فقيرة من إب عصامي عمل بجد وكد لتربية ابنه الوحيد/محمد مرشد ناجي ليصبح متعلما قادرا على مواجهة شظف العيش الذي كان يحاصر معظم الأسر اليمنية في ذلكم الزمان واستطاع والده الفاضل/مرشد ناجي أن يربي فنانا (ابو علي) على قيم الفضيلة والخير والنزاهة والرحمة والتربية الدينية الأصيلة.
ومن هذه النشئة العصامية والبيئة البسيطة..، لم يتصور اكثر الناس تفاؤلا في تلك الحقبة أن يغدو اسم "المرشدي" ذالكم الفتى المكافح، علما فنياً وثقافياً في عدن وفي اليمن وفي الجزيرة العربية كلها.
لقد صنعت البيئة الصعبة، والقاسية، من المرشدي فنانا كبيراً مرهف الإحساس، وجزيل المشاعر والعطاء الفني الثقافي..، فقد تعلم من تلك البيئة الجدية والصرامة في أعماله الفنية وانضباطه الإداري، عندما كان موظفا حكوميا في السلطنة الفضلية في زنجبار (أي انه لم يعتمد في قوت يومه على فنه وإبداعه، بل اعتمد في معيشته على وظيفته لدى السلطنة الفضلية)، وكان الفن بالنسبة له رسالة فحسب ذات مضامين شعبية وطنية وفنية إبداعيه سامية، ونتذكر اغنيته الشهيرة (أنا الشعب زلزلة عاتية ستخمد نيرانهم صيحتي...) كان يرددها بصوته الجهوري الجذاب لحشد طاقات الجماهير اليمنية في مقاومة المستعمر البريطاني الغاصب.
وفنانا المبدع بدأ أولى أغانيه الفنية بأغنية مشهورة (هي وقفة) لشاعر اليمن الكبير/محمد سعيد جرادة إذ تقول الأنشودة ــ
(هـي وقـفـة لي لست أنـسى ذكـرهـا أنا والحبيب***
في ليله رقصت من الاضواء في ثوب قشيب ***
لما التقينا والجوانح لاتكف عن الوجيب***
فهززته وهـو الرقيق كنسمة الفجر الرطيب***
وغمرته وهو الذي لنداء قلبي يستجيب***
بعواطفي المتكبرة ***
ومشاعري المتفجرة ***
وشرود وجداني الكئيب***)
بهذه الأنشودة الصاخبة، وبهذه الكلمات البليغة، استطاع الثنائي الجرادة والمرشدي اتقان سينفونية يمانية أصيلة اذهلت كل النقاد، والمهتمين وذوى الأذواق المرهفة من المعجبين والحالمين والعاشقين، وكلهم يتساءل؟ ويهمس كيف تجتمع الكلمات القوية بمفرداتها اللغوية العميقة واللحن الصعب الجميل، والأداء المتقن، في باكورة نتاجات الفنان المرشدي في أولى خطوة له في مسيرة الفن التي بدأها من (غـوبة) مدينة الشيخ عثمان إلى أعظم وأرقـى المسارح في الجزيرة العربية، في السعودية والكويت والبحرين ودبي وصنعاء والقاهرة...إلخ."..شيء مذهل بكل المقاييس".
لقد سجل فنانا المرشدي الكثير من الأعمال الفنية بمدارسها التراثية اليمنية وألوانها المختلفة من كل ربوع اليمن السعيد، وفي كل مدرسة ولون كان مبدعا متميزا قدم عصارة فنه للملايين من محبي فنه الاصيل.
وساهمت إذاعة عدن (تأسست في 1954م)، وتلفزيون عدن الذي تأسس في 1964م، دورا هاما في نشر اغانيه وإبداعاته، وكلنا نتذكر معاً قصيدة (لقاء) للشاعر الكبير/محمد سعيد جرادة التي تقول في مطلعها ــ
يا حبيب أي عيد أي سعد سوف تبقى هذه الليلة عندي***
عندنا وردا حكى رقة خد ومدام اشبهت فرحه وعد***
وفراشا ناعم المخمل وردي ***
واحاديث صبابه وجد ***
سوف احيا هذه الليلة وحدي ***
وسيحياها رواة الشعر بعدي ***
بهذه الكلمات المشحونة بالعواطف الجياشة والمترفة شعرا عذبا وحديثا ساحرا سطرها بإبداع شاعرنا الكبير الجـرادة، استطاع المرشدي أن يطوع هذه الكلمات وهذه الأبيات إلى لحن خالد ستتذوقة الأجـيـال لمئات قـادمـات من السنين، لأنه ببساطة كان مقدرة فنيه هائلة استلهمت كلمات الشاعر ووظفت بحرفية المبدع الملحن المرشدي لتنساب لحنا أصيلا عذبا في قلوب المعجبين.
ان هذا النجاح الهائل والمكانة الرفيعة التي حظي بها لم تكن الدروب له سالكة، ومعبدةٍ بل العكس من ذلك فقد كان السفر ممنوعاً للجميع من المواطنين إلا بترخيص خاص من السلطة السياسية/الأمنية آنذاك وقد سرى المنع من السفر لفناننا لأكثر من مرة وحرم من المشاركة في العديد من المهرجانات الخارجية.
والفنان كغيره من المبدعين لا يستطيع أن يعطي بسخاء في سجن مغلق وخلف ستار حديدي اسمها اليمن (الديمقراطية)، ولكن فناننا بحث بكل الطرق والوسائل للخروج للمشاركة والسفر للخارج كي يحلق كالطيور المهاجرة في الفضاءات الواسعة وفي فضاء فن الحرية والإبـداع وتارة نجح وأخفق في الأخرى ومع ذلك استطاع أن يقدم فناً أصيلاً في كل رحلاته الخارجية كانت بمثابة رسالة اليمنيين الفنية للوطن العربي كاملاً.
قـد نستغرب أن هـذا العطاء الجزيل والواسع والثري والناضج للمرشدي لم يشفع له أن يحصل على أي تكريم معنوي كبير من خـلال منحه مثلاً (ميدالية أو وسام) لقد حرم منها طيلة رحلته الفنية الممتدة من نهاية الخمسينات وحتى يوم مماته الحزين باستثناء ميداليتين مهمتين، منحت له من الرئيس السابق/علي عبدالله صالح جـزاه الله خير الجزاء، (في عام 1982م منح وسام الفنون من الدرجة الاولى في الجمهورية العربية اليمنية سابقا وفي عام 1997م تم منحه وسام 30 نوفمبر)، "ألم يكن ذلك التصرف هو الجحود بعينه، هو شكل من اشكال التمييز البغيض ضد الابـداع الحقيقي من قبل قيادة الدولة والحزب في الشطر الجنوبي آنذاك".
ولكنه بالمقابل حصل على العديد من الميداليات والأوسمة من كل من السعودية والكويت ومصر والبحرين وعمان ومن المعهد العربي بباريس.
لم ينحصر عطاء الفنان المرشدي في عالم الموسيقى والتلحين والغناء، بل تجاوز ابداعه إلى التأليف للعديد من الابحاث والمقالات والكتب التراثية، اذ كتب المؤلفات الاتـيـة ــ (اغـنـيـات شعبية, اغنيات وحكايات, الغناء اليمني ومشاهيره, صفحات من الذكريات) بالإضافة إلى عدد كبير من المقالات والأبحاث.
تميز "المرشدي" بسعة ثقافته وثراء لغته وموهبته الخطابية والحوارية في الحوارت والمقابلات في وسائل الإعلام، حينما كان عضواً في (مجلس الشعب الاعلى) في اليمن الجنوبي "انذاك" وعضواً في مجلس النواب بعد توحيد شطري اليمن في 22 مايو عام 1990م.
لقد حالفني الحظ أن ألتقي وأعايش الفنان المرشدي في العديد من اللقاءات والمحافل والمناسبات ولكن اجمل اللقاءات كانت في منزله العامر بحي المنصورة بعدن، حينما استضافنا المرشدي وأبنائه الكرام بمعية الشاعر الجميل الدكتور/سعيد الشيباني والشاعر المثقف/عبدالله بأكدادة مدير مكتب الثقافه في عدن "وقتذاك"، وعدد من الزملاء كانوا في صحبتي اتذكر منهم الـدكـتـور/عـلي أحمد فضل السلامي والدكتور/محمد طه محمد شمسان والدكتور/علي ابوبكر حسين الزامكي و الدكتور/محمد علي مـارم، والأخ/نـصر مبارك باغريب والأخ/جمال عبدالمجيد الجوهري والأستاذ/محمد اسماعيل السروري والأستاذ/عبدالله محمد علي العديني (ابا ايمن) والأخ/وهيب عزيبان العقربي، والدكتور/مختار حسن بن لصفوح العولقي رحمة الله عليه, وزملاء كثيرون لا اتذكرهم عندما استقبلنا بمنزله مرتين في العام 2011م وفي العام 2012م، وتحدثنا حديثاً طويلا وممتعا وشيقا في كل قضايا الوطن وهموم الفن ووجدناه مدرسة واسعة في كل موضوع تحدثنا فيه.
ورغم تداعي سنوات العمر على كاهله، إلا أنه كان حاضرا ومتقد الذهن والذاكرة يتحدث في كل تفاصيل اليمن الكبير وفي تراث وتاريخ العديد من الشعراء والفنانين الكبار، والذين عمل معهم في رحلته الفنية الطويلة وتعامل معهم ومنهم الشاعر الأنـيـق الجميل/لطفي جعفر امـان والشاعر/محمد سعيد جرادة والشاعر الدكتور/سعيد الشيباني والشاعر الكبير/حسين ابوبكر المحضار والشاعر/احمد هادي سبيت، ومن الفنانين الكبار الفنان المرحوم/احمد بن أحمد قاسم والفنان الكبير/محمد محسن عطروش وفنان العرب الكبير/ابو بكر سالم بلفقيه والفنان المرحوم/محمد صالح عزاني والفنان المرحوم/محمد سعد عبدالله والفنان المرحوم/محمد عبده زيدي والفنان الرائع الصديق/عصام خليدي..، أطال الله في أعمار ممن لا زالوا يمتعونا بفنهم الجميل في حياتنا.
لقد استمتعنا واستفدنا كثيرا من التجارب و المعلومات الواسعة التي استمعنا إليها في لحظة صفاء وصـدق لفناننا الكبير "المرشدي" واتفقنا في هذا اللقاءات على مواصلة العمل المشترك بين جامعة عدن وفناننا الكبير "أبو علي"، وطباعة كتابه حول المقامات والموسيقى اليمنية, علماً بأن جامعة عدن قد كرمته في مناسبات عديدة في السنوات الاخيرة اعترافا وتقديرا لهذه القامة الفنية الثقافية اليمنية الكبيرة..، نسأل الله له الرحمة والمغفرة وأن يسكنه فسيح جناته وأن تكون الجنة مستقرا ومأوى له.
إن جامعة عدن وأسرة الفقيد وأصدقاءه ومحبيه نظموا يوم الأحـد المـاضي (19 مايو2013م) حفلا تأبينيا تخليدا وذكرى وعرفانا للفقيد "المرشدي"، بوصفه واحدا من أعظم الشخصيات الإبداعية والثقافية الفنية التي تربعت على عرش الفن في اليمن في القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين، ولذا نحن فخورون وشديدو الاعتزاز بأننا عرفناه عن قرب وتعاملنا معه وتحدثنا إليه وجالسناه للحظة مهمة من الزمن، ومع هذه الشخصية الاستثنائية القامة..، والقمة..، والقيمة الإنسانية الكبيرة.

**رئـيـس جـامـعـة عـدن.

تصويب مسار الوحدة

عبد الملك الشرعبي

وفقا لتوجهات المبادرة الخليجية وآليتها التنفيذية رغم التحديات الكثيرة التي واجهت ولا تزال تواجه عملية التحول السياسي ،ولعل أبرز ماتحقق حتى الآن هو إعادة هيكلة القوات المسلحة والامن والمعالجات الجارية لقضايا الاراضي والمبعدين في الجنوب والتئام مؤتمر الحوار الوطني الشامل

مثلت الوحدة الوطنية استحقاقا وطنيا وقوميا اعادت لليمن مجدها وقوتها وعزتها ومكانتها الحضارية والتاريخية ..كأبرز حدث تاريخي يتحقق في المنطقة العربية تتويجا لكل نضالات شعبنا اليمني الوحدوي ضد التشطير بكل مساوئه وكوارثه وطي صفحة مظلمة من الصراع العبثي بين أبناء الوطن الواحد والذي استنزفً معه كل إمكانيات ومقدرات البلاد.. وهلل الجميع مستبشرين باعادة تحقيق لحمة الوطن ولم شمل ابنائه بعد شتات وتمزق وصراعات استمرت طويلا والدخول في مرحلة جديدة اساسها دولة يمنية ديمقراطية موحدة تسود فيها قيم العدالة والمواطنة المتساوية وتنعم بالأمن والاستقرار ،واستعادت اليمن مكانتها المتميزة على مستوى المنطقة العربية وعلى الصعيدين الاقليمي والدولي .. لكن سرعان ما بدأت الاشواك تزرع في طريق دولة الوحدة واطلت الفتنة برأسها تنفث سمومها في الجسد الواحد من قبل طرفي المعادلة السياسية (شريكي الوحدة) وخصوصا بعد انتخابات 93 والتي جاءت نتائجها مخيبة لآمال الحزب الاشتراكي وتصاعدت التوترات بين صنعاء وعدن وفشلت وثيقة العهد والاتفاق في انهاء الاحتقانات القائمة ، وانتهت الامور باندلاع حرب صيف 94 ومبادرة اعلان الانفصال عشية الواحد والعشرين من مايو من قبل علي سالم البيض والتي شكلت الضربة القاصمة لمشروع دولة الوحدة .. لكن اليمنيين بمختلف شرائحهم وتوجهاتهم وانتماءاتهم هبوا من كل صوب للدفاع عن الوحده وانتصرت الارادة الوطنية وظلت الوحدة كهدف سام لجميع ابناءٍ اليمن شامخة وعظيمة .. إلا ان حرب صيف 94 افرزت واقعاً جديداً على جميع المستويات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، وكان لها افرازاتها وتداعياتها الخطيرة على منجز الوحدة الوطنية من خلال محاولة الغاء الطرف الآخر -الشريك في الوحدة من الحياة السياسية والعامة ، وإقصاء وتسريح واسع للقيادات الجنوبية من الأجهزة المدنية والعسكرية والامنية وإعادة تشكيل المحافظات الجنوبية إدارياً وعسكرياً واغفال معالجةٍ ما خلفته الحرب من قضايا وملفات حقوقية حتى أصبحت رأياً عاماً مهد لظهور الحراك الجنوبي والقضية الجنوبية، وغيرها من القضايا والملفات التي ادت إلى اهتزاز الثقة بالوحدة وظهور دعوات مطالبة بالانفصال مجددا وفك الارتباط..كما كان للاخطاء والتجاوزات التي اعقبت الحرب تداعياتها ايضا على الصعيد الشعبي في اليمن عموما نتيجة الهيمنة والتسلط والاستئثار بالسلطة والثروة وعسكرة البلاد وتنامي مشروع التوريث ونهب المال العام واتساع رقعة الفساد في كل مفاصل الدولة .. وكلها اسباب وعوامل افرزت احتقانات شعبية واسعة وسخط عام في الشارع اليمني من اقصاه الى ادناه ..فخرج بكل شرائحه وتوجهاته الى الشارع مختلف المحافظات في ثورة سلمية شهد لها العالم ، وتصدرها الشباب الذين كان لهم الفضل الاول وكانوا هم الشرارة الاولى في الثورة الشبابية الشعبية السلمية مطالبين بالتغيير ورحيل النظام السابق واعادة الاعتبار للوحدة المسلوبة وبناء دولة مدنية ديمقراطية حديثة اساسها الوحدة الوطنية بعد اعادة تقويم مسارها بشكل صحيح باعتبارها الضامن الحقيقي والأكيد لقيم الحرية والعدالة والمواطنة المتساوية .. وتحقق حلم اليمنيين بالتغيير بفضل الثورة الشعبية التي نتفيأ ظلالها اليوم ..
ونستطيع القول اننا قطعنا خطوات هامة في مسار التسوية السياسية وفقا لتوجهات المبادرة الخليجية وآليتها التنفيذية رغم التحديات الكثيرة التي واجهت ولا تزال تواجه عملية التحول السياسي ،ولعل أبرز ماتحقق حتى الآن هو إعـادة هيكلة القوات المسلحة والامن والمعالجات الجارية لقضايا الاراضي والمبعدين في الجنوب والتئام مؤتمر الحوار الوطني الشامل الذي يشكل اهم استحقاقات المرحلة الثانية من المبادرة الخليجية والذي يعلق عليه اليمنيون أمالا عريضة في معالجة كافة المشاكل والقضايا الوطنية العالقة وعلى رأسها القضية الجنوبية التي يتوقف على حلها معالجة كافة القضايا الاخرى كما انها تشكل المرتكز والقاعدة الاساسية لتعزيز وتصويب مسار الوحدة الوطنيه ورسم خارطة طريق لمستقبل الوطن الواحد والدولة اليمنية الحديثة .. دولة النظام والقانون والامن والاستقرار .. دولة تسودها قيم العدالة والحرية والحقوق المتساوية لجميع ابنائها دون تهميش او إقصاء للآخر او الاستئثار بالسلطة والثروة من طرف اوفئه ..وذلك ما يؤمله اليمنيون اليوم وخرجوا لأجله في ثورتهم الشبابية الشعبية السلمية ..
وندرك يقينا ان الوحدة الوطنية - ورغم التصدعات والاخطاء التي رافقتها طوال السنوات الماضية ستظل راسخة وقوية وشامخة شموخ جبال اليمن وخطاً احمر لكل من يحاول النيل منها او اجهاضها للعودة الى التشطير مرة اخرى من خلال الدعوات المازومة والمريضة من قبل بعض المأجورين المتمترسين وراء اجندات خارجية لن يحققوا مآربهم واهدافهم العقيمة لان شعبنا يدرك اليوم اكثر من أي وقت مضى ان التشظي والانقسامات لا يقود الا الى مزيد من الضعف والوهن في وقت نحن فيه في امّس الحاجة للتوحد ولم الشمل لمواجهة التحديات والأعاصير التي تحدق بالوطن والوقوف صفا واحدا للحفاظ على منجز الوحدة وصيانتها من أي محاولة لاختراقها لان فيها عزة الوطن وكرامة ابنائه وفي ظلها ستسود وتسمو قيم الحرية والعدالة والحقوق المتساوية للجميع بدون استثناء..

لا تظلموا الوحدة

أ.د. عزيز ثابت سعيد

لم يا ترى نتخلى عن الوحدة؟ أهي السبب في الفوضى المطبقة التي نعيشها شمالا وجنوبا وشرقا وغربا؟، أهي السبب في التخريب المتواصل لأبراج الكهرباء؟ أهي وراء تردي المستوى التعليمي الأساسي والجامعي ؟ أهي وراء معاناة وشقاء 3 مليون مغترب في الشقيقة الجارة الكبرى وفي غيرها؟

هلت علينا ذكـرى الـوحـدة المباركة وصنعاء وعدد من المدن غارقة في ظلام دامس، ورغم ذلك فقد كانت هناك مظاهر احتفالية بسيطة في جزء من الوطن، أما الجزء الآخر – أو بعض منه – فقد احتشد في ساحة العروض مطالبا بفك الارتباط، فالوحدة بالنسبة لهذا الطرف هي سبب شقائه وبلائه ومعاناته وسبب ضيق عيشه، وضياع أمنه وأمانه، أو هكذا يظن، وعليه فالحل كما يرى هو في العودة إلى ما قبل 22 مايو 90م.
ونحن إذ نتعاطف مع إخواننا ونشعر بأناتهم ومعاناتهم نؤكد لهم أن الأغلبية الساحقة في المحافظات الشمالية ليسوا أحسن حالاً من إخوانهم في المحافظات الجنوبية، فالمعاناة هي هي هنا أو هناك، إلا أن الوحدة بريئة من مآسينا، فمعاناة اليمني في زوايا الدولة الأربع أسبابها تحتاج إلى تكاتف الشمالي والجنوبي والشرقي والغربي إذا ما رمنا معرفتها والقضاء عليها. الغريب العجيب أن بعض الأحزاب التي ظلت تتبختر على خلق الله بأنها قامت بالوحدة تنظر (بتشديد الظاء) اليوم للفدرلة والأقلمة أو قل – إن شئت – "القزمة" كمخرج آمن لليمنيين اليوم، وما اجتماع اللجنة العامة للمؤتمر الشعبي العام مؤخرا بسر، فقد "دَفَع" أو فجر المؤتمر، الأخ الأكبر في الدولة، مفاجأة لم تكن في الحسبان وذلك بتبنيه خيار "الأقلمة". وكم تزداد مشاعر الألم والحسرة ونحن نرى أناسا في مجلس الحوار كنا نعدهم عقلاء بل ومن الأخيار قد باتوا يتسابقون لبيان مناقب فكرة الفدرلة والأقلمة، وتصويرهما كحل ناجح، ناجع لانتشالنا من براثن وضعنا المتردي، ولعمري أن هذا طرح مخاتل بل وفكر سقيم وساذج، إذ كيف نحاكم الوحدة على ما اقترفناه واقترفه حكامنا وقادتنا منذ الأيام الأولى لولادتها؟ قد ألتمس بعض العذر لإخواننا الذين ذاقوا مرارة الحرمان والظلم بعد الوحدة، كما أسلفنا، وأتفهم موقفهم من الوحدة، مع علمنا أن الوحدة ليست من ظلمهم وحرمهم، بل الأدوات البشرية للنظام الذي تلا الوحدة. ما ذنب الوحدة أيها العقلاء؟ ألم تكن حلمنا الأول وهدفنا الأسمى شمالا وجنوبا؟ ألـم نتغنى بها في مدارسنا أطفالا وشبابا وكأنها معشوقة نرقب وصلها بفارغ الصبر؟ ألم تردد الجبال والوديان والسهول أهازيج وأغاني الفلاحين والفلاحات البسطاء الذين ذابـوا في هـوى الوحدة قبل أن يعيشوها؟ ألم يذرف أباؤنا وأجدادنا الدمع في محاريب عباداتهم ابتهالا إلى لله القدير أن لا يميتهم حتى يروا اليمنين يمنا واحدا؟ واليوم وبعد الوصل نتخلى عنها! يا له من تفكير عبثي شيطاني نساق إليه سوقا!
لم يا ترى نتخلى عن الوحدة؟ أهي السبب في الفوضى المطبقة التي نعيشها شمالا وجنوبا وشرقا وغربا؟، أهي السبب في التخريب المتواصل لأبراج الكهرباء؟ أهي وراء تردي المستوى التعليمي الأساسي والجامعي ؟ أهي وراء معاناة وشقاء 3 مليون مغترب في الشقيقة الجارة الكبرى وفي غيرها؟ نحاكم الوحدة وكأنها وراء التقطعات والسطو والهنجمة القبلية والجهوية والحزبية، وكأنها سبب انتشار التعصب المذهبي في مجتمع عرف التعايش المذهبي لأكثر من 12 قرنا من الزمان، وكأنها السبب في الفساد المنظم الـذي نخر مفاصل الدولة حتى كسر عظامها! لم يا سيدات ويا سادة لا نسمي الأشياء بأسمائها؟ لم يـراد أن تكون وحدتنا قربانا لأخطائنا وخيباتنا؟ إن من أسمو أنفسهم قادتنا وسادتنا وكبرائنا أضلوا الأمة السبيلا، وأوردوا الشعب موارد الهلاك، واليوم هم من ينظر لكيفية الخلاص. إنا نبرأ إلى الله وإلى الأمة من أولئك الذين يريدون أن يقدموا وحدتنا الطاهرة قربانا لأخطائهم وخيباتهم.
إن أوضاعنا الاقتصادية الهشة، بل قل إن شئت التعيسة، والأعـراف القبلية المتجذرة في نسيج المجتمع اليمني والتي تحكمنا أكثر من قوانين الدولة تجعل من الصعوبة بمكان تطبيق نظام فدرالي كالذي في الإمارات العربية المتحدة ومثيلاتها. وعليه فإن القبول بالفدرلة أو الأقلمة لن يخزل عنا شيئا مما نحن فيه بل سيقود في نهاية المطاف إلى تفتيت الوطن إلى مشيخات و"كنتونات" هزيلة تتناحر على السفاسف وتحترب على التوافه، كيف لا ولنا في تاريخنا القديم عظيم العظات والعبر، ألم تقم حرب ضروس بين قبيلتين (دويلتين) دامت 40 سنة بسبب ناقة جرباء؟ ولدينا في تاريخنا اليمني عشرات الأمثلة من حالات التمزق وحالات تكون الدويلات عند ضعف الدولة المركزية، كما عبر عن ذلك الشعراء الذين سجلوا لنا حالات تمزق يمننا:
وتفرقوا شيعا فكل قبيلة... فيها أمير المؤمنين ومنبر
إنا إن ضحينا بالوحدة كحل لما نحن فيه فقد ضللنا الطريق وجانبنا الصواب. لم لا ننظر إلى الأمور من زوايا مختلفة ونفكر برؤىً تصلح اعوجاج أوضاعنا بدلا من مضاعفة المأساة بفدرلتنا وأقلمتنا؟ إن أردنا حلا لما نحن فيه لم لا نقدم أفكارا من نوع آخر، لم لا نضع على طاولة الحوار أفكارا نفتدي بها الوحدة؟ مثل:
1. الدعوة إلى سن قوانين حركية لا ورقية مدعومة بإرادة سياسية حازمة جازمة تصحح الاختلالات وتستأصل الفساد بأنواعه وأحجامه ومصادره.
2. تطبيق القانون على الصغير والكبير، الشيخ والرعوي، الوزير والغفير، الموظف والفلاح، الغني والفقير، فقد أقسم معلمنا الصادق المصدوق عليه صلوات الله وسلامه ليقطعن يد ابنته الحبيبة سيدة نساء الدنيا والآخرة إن هي سرقت.
وإن لم ترق لنا تعاليم رب البشر وتعاليم رسوله في المساواة، فلنتعلم من حكيماتنا وحكمائنا، ألم تطلب غزال المقدشية من مجتمعها القبلي المساواة في التعامل:
سوا سوا يا عباد الله متساوية ... ماحد ولد حر والثاني ولد جارية
3. الضرب بيد من حديد ضد كل مخرب وناهب ومختلس ومرتش وقاطع طريق، وصلب كل من تثبت إدانته في الميادين العامة ليكون عبرة لغيره.
4. رد المظالم إلى أهلها خصوصا في المحافظات الجنوبية، وهم يعرفون أن إخوانهم البسطاء في المناطق الشمالية أبرياء من أموالهم برأءة الذئب من دم ابن يعقوب.
5. تطبيق مبادئ اللا مركزية الإدارية في المحافظات تطبيقا حقيقيا وليس تطبيقيا صوريا كما هو الحال في نظامنا الحالي، وهو ما قاد إلى ما نحن فيه اليوم.
6. العمل بالقوانين الناجحة التي كانت تطبق في الشطرين قبل الوحدة، مثل ترشيد تعاطي القات، آفة اليمن ورأس مصائبه، وكذا منع حمل السلاح في المدن الصغيرة والكبيرة، وغير ذلك من القوانين التي خلقت دولة مدنية يحكمها النظام والقانون، وليس نظام الهجر والعرف القبلي، حيث يهتك عـرض المواطن البسيط من قبل أخيه المتنفذ والمسألة سهلة "إحنا محكمين".
-7 تشكيل الحكومة من أبناء المناطق الجنوبية تعويضا لحرمانهم من المناصب المفصلية في الدولة في ما مضى، رغم أن معظم الشمال كان مهمشا معهم ما عدا "طبقة النبلاء" أو أولاد الذوات الذين ظل بعضهم يتبادلون المناصب في الدولة طيلة حياتهم وكأن الدولة ملكية خاصة.
أخـيـرا أدعـو كل من له مركز من أبناء المحافظات الشمالية أن يتنازل عنه لأخ أو أخت من المناطق الجنوبية، وليس لي منصب كبير أتنازل عنه، فأنا أستاذ وعميد لكلية، وإنه ليسعدني أن أتنازل عن العمادة لأخ من المحافظات الجنوبية وأتشرف أن أعمل تحت قيادته وأسعد بتقديم المشورة له إن أراد استشارتي.. المهم أن نظل بيتا واحدا في زمن يراد للأمة أن تتقزم وتتقاتل وتتفدرل و"تتفدر"

رسالة إلى مغترب

محمد غبسي

(غبني عليك يا مرشد أين الله سارح بك الزلط اللي رسّلتها ما كفّت علف للغنم ، نسيت ما أقولك يا ابو مهدي ان أخوك طلق مرته ، وعمك جت له حالة نفسية وشلوه المصحة ، وخالتك قرطلة جت لها جلطة وقبرناها يوم الخميس ، وخالك ميمون صدمته سيارة وأسعفناه الى المستشفى ما لقينا سرير ، والبقرة الكبيرة ماتت ، والحمار اللي كنّا نطحن فوقه اكتسرت رجله ، وبنت قاسم الصغيرة زوجوها بالصميل لواحد بعمر جدها ، وابنك مهدي بطل الدراسة ورجع يشتغل بدل الحمار.!)
هذه القطعة السابقة نقلتها من الشريط المخصص بالرسائل على إحدى القنوات اليمنية والتي أرسلها أحد المشاهدين في عدة رسائل لكنها كانت مرتبة ومتتالية ومرسلة لشخص واحد هو " مرشد " ولم تسعني الذاكرة للاحتفاظ باسم المرسل لكني انشغلت في ملاحقة وتدوين نص هذه الرسالة التي فاجأتنا بما تحتويه من حزمة أخبار مزعجة لا يمكن لشخص واحد أن يستقبلها دفعة واحدة لما فيها من أحداث متنوعة لا تحتملها مدينة بكاملها .! احتفظت بهذه الرسالة في محاولة مني لفك شفرتها لكني أقف عاجزاً كلما تذكرتها ولم أستطع سوى المقارنة بينها كرسالة من شخص إلى شخص عبر شريط مخصص للتهاني وبعث التحيات وبين الأخبار التي تجري في الشريط المخصص لبث أخبار البلاد وأحداثها ، لكني لم أجد فرقاً بين تلك الرسائل الإخبارية التي تلخص مجمل ما يحدث لخمسة وعشرين مليون، وبين هذه الرسالة المطولة التي استهدفت شخصاً واحدا بكل ما تحمل من أحداث ومآس تكفي لنشرة أخبار رئيسية !
وستلاحظون معي بأنها رسالة من مواطن/ة قد يكون مقيما في القرية أو في المدينة إلى آخر قريب له مغترب قد يكون في مدينة أخرى وقد يكون مهاجراً في دولة مجاورة أو بعيدة عن الوطن وهذا يثبت مدى اعتماد الفرد والأسرة والمجتمع بشكل عام على الخارج ويرسم بخطوط عريضة ساخرة حجم الأحداث التي تسبقه إلى أسرته (وطنه) بينما يبحث هو في زاوية أخرى من العالم عن لقمة عيش ليبعثها إليهم كأخبار سعيدة أو يعود بها ليعيش بمعيتهم بضعة أيام وضحكة " بقدر زلطه " إن جاز التعبير .
وإذا افترضنا بأنها رسالة مركبة أو أنها قد خضعت للإضافة والتحسين والتحرير خلال تداول شعبي إلا أنها مازالت مؤلمة ولا يستطيع أي يمني أن يشكك في حقيقتها لأن بيئتنا ومجتمعنا مليء بأحداث كثيرة من أعلى إلى أسفل ، وأجزم بأن المشاكل والصعوبات اليومية التي يواجهها الفرد أو الأسرة أكثر بكثير من الأحداث التي تواجهها الدولة.